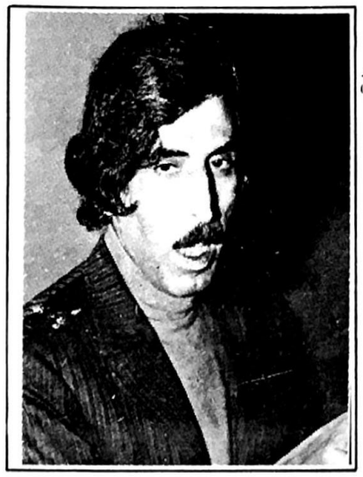

الشاعر « سعدي يوسف »

كيف كتب الاخضر بن يوسف قصيدته الجديدة

عندما يستعيد "سعدي يوسف" "ضيق المنفى ..."

في صمت الليل حيث حصان الكلمات يرقص ... يدخل شعر سعدي يوسف مساحة العذاب التي تتأرجح بين الفقر والحلم الابيض ... تبقى الكلمات بعيدة حين يريد الشاعر تفحص الفواصل والنقاط وعدد الاهات واحصاء جدول النزيف الابدي في طاقة شعرية من اهم الطاقات الابداية في الشعر العربي الحديث .. لكن الارض بمعناها الجوهري تشع من بين السطور ويعلن انسان القصيدة قدرته على صنع التحولات في شجرة الثورة ومصباح الفجر الذي يتعب لكنه لا يغرب عن سماع البلاغة العربية . فالشاعر سعدي يوسف منذ بداياته وحتى « الليالي كلها » يتنفس من تعب العالم ويطلق صرخته في الشوارع والاكواخ ويردد مع كل فقراء الوطن :

(السماء قريبة ـ وبعيدة ارضي) ...

ترى لماذا بعد الارض فيما تشتعل المسافات بدم الضحايا وتحترق الشموع والشاعر مثل البندقية ينزف ويبقى ثم يطلق رصاصة ، قد تصيب او لا تقتل لكنها تسجل في دفتر المدينة احتجاج القصائد على الحزن وصراعه من اجل تحطيم جدران اليأس ـ حتى تدخل الشمس الى الزنزانة ـ انه التعبير الانساني في شعر سعدي يكاد يصل الى شريان القلب حتى اذا ما انفتح وجدان الشعب نهضت الاشعار من داخله لتواكب مسيرته فتنمو حكايات الاطفال على البحر .

* مع نفس الموجة ليجر سعدي يوسف في مجموعته

«كيف كتب الاخضر بن يوسف قصيدته الجديدة » ـ دار الاداب ـ

الشعرية حيث يزاوج بين الموت والفرح في زمن الشعر والاضطهاد والحرمان ... ثم يرتفع مع القصيدة ويكتب للايام القادمة عناوين الفرح ، التي تتوزع مثل سكين الايام في جسد التحولات وتتجمد عند حافة النزيف . ـ ينشر سعدي يوسف عذابه على امتداد ٩٤ صفحة وثلاثة عشر قصيدة يحملها ألم السجن في مفردات اللغة العربية التي تبحث عن استقلال حروفها وسط الضجيج والفوضى . ويكتمل دم الشاعر بقدر اكتمال جرحه ودورة حزنه فهو يقبض على نار الفترة التي تمتد بين البحر والبحر لكنه لا يتعب الا حين يسقط في الفراغ والظل ...

هي الكلمات يحولها « يوسف » الى جغرافية الاناشيد وسط مياه الثورة ترتج .. لكنها تتدافع في المستقبل كثائر لا تتعبه بندقية ثقيلة ...

* على نفس الجبهة المقاتلة للشعر الصافي مثل مياه الينابيع ومنذ مجموعاته الاولى وضع « يوسف » خطوة في القلب ثم استقام نحو الشعر لماذا ؟ لان « الاخضر بن يوسف ومشاغله » لم تكن قصيدة يوسف وتداعياته وانشغاله بتصفيف شعره واناقة قميصه ، لكنها كانت قصيدة الشعب منه وله مقدمات المطر والنخيل ..

(أعرف اني .. سائر في زهرة الرمان
الفا من السنوات
أفتح في التويج مدينة قروية) ..

تلك مقاطع من قصيدة الاخضر بن يوسف الجديدة . لكنها قديمة من حيث قدرتها على الوقوف في المحطة الاولى . منذ القديم نزف سعدي يوسف وما زال . لكن دمه يكتب الشعر النقي ...

هكذا مجموعة سعدي يوسف : تكتب ... تخطط ... تبرمج لمعاناة ذات حقول تصطف فيها قامات الاشياء والناس ـ فعلى الرغم من فردية بعض جوانب القصيدة وانشغال صاحبها في عتمة الذات وظلام الانتظار ، الا ان التوجه العام للمنطق الفردي يبدو في اغلب الاحيان عند يوسف ذلك المشوار الطويل في شعر الغد بكل ما يحمل من مفاجآت لذا يقول :

(كان يقرأ حتى توجعه عيناه .
يتمشى ظهرا في الحديقة
وليلا يتمشى على رمال وهران
البحرية .
قالت له صديقته : انك
لم تنم منذ ستة ايام .
قال لها : لم يبق من الاصدقاء غيرك) .

* المرأة في قصيدة يوسف حالة اخرى من التشتت بمعنى الرغبة في التجمع من جديد ، بدونها لا يشعر القلب بالاستقرار وسط المتناقضات والمشانق والظلم والقهر الاجتماعي ومرحلة التحولات السياسية ... يوسف يغني لها وللشوارع ويدون ملاحظاته لها خشية ان ينساها ... لكنها الحديقة التي يرتاح بين اعصانها من هجير الرمال وحرارة الاحداث ـ والمراة كانت ولا زالت زورق الرحلة وسط امواج التعب والهموم اليوميه . (...) لكنها الوطن في قاموس القدرة على الاستمرار ـ الطموح ـ العطاء ـ وسعدي يوسف ادرك سر المعادلة فوقف ضدها ـ لكنه لم يهرب من المواجهه ـ ووعد بان يعيش الخريف حتى يقطف ازهار الربيع ...

● لغة سعدي يوسف نتاج نفسها ـ حركاتها الداخلية ـ تمزقها ـ رؤيتها للصراع الدائر في القلب والخارج، ترى ماذا يفعل الشاعر اذا ازدحمت امامه القواميس والمنفى والعودة التي تتخذ تارة انكسار الشراع واخرى تمزق الزورق . انه الشاعر الذي فقد لغته في الرمال واستعاد وهجها في تألق القصيدة فشاطىء المد يبوح باسراره لتلك العلائق التي خلفتها الازمات في خضم هذه الرحلة ـ كيف يكتب سعدي يوسف قصيدته وهو الذي طالما يبحث عن قصيدته الجديدة ؟؟

جوابه منه ، وصوته ذاك الجبل الذي تعلو فوقه قمم المواقف ..

(فلتبحث بين تراب الوطن
الغالب في خاتمك المغلوب) .

ـ انها قصة المدينة التي تبحث عن بدايتها منذ جاع اول طفل في الريف ومزقت سيوف القهر الجسد الاخضر . فهو التراب والوطن ـ الغالب دائما مع القصيدة المنتصرة دائما . انه سعدي يوسف يعشق الريف والقصب ويبحر وسط ازمات الانسان العربي ـ حيث هنا وهناك محطات للجوع ولفكر الطبقات الظالمة والعدو الصهيوني . ـ كتب سعدي يوسف (لا تسكن في كلمات المنفى حين يضيق البيت) ... فذاكرة المنفى تتفتح وسطها ازهار البيت وهناك تضاد تحمله تلك المتضادات بين الغربة والوطن ـ فهو استعادة لسعة البيت وضيق المنفى ...

* ومع نهاية القصائد يعود القارىء الى مخاض التجربة فمن بين عشرات الشعراء ومنه السياب وفاجعة تلك الرمال التي لم يستطع اختبار مكنوناتها . فشاعر كسعدي يوسف يحمل فى ذراع المستقبل راية وفي الذراع الاخرى نجيع العين وهدايا الاطفال ورائحة انتصار الطين وبغداد التي حلقت في غيومها طيور المنفى .

باختصار شعر سعدي يوسف محطة التصدي في زمن الانهيار والتراجع .

محمد درويش

بريد الهدف

انه الزمن الجنوبي ... حذاري من الاقتراب

انه الان وحده
لا شبيه له ولا شريك
الجنوب ... سيد العصافير والثظايا
انه الان وحده :
على نافذة عمرها الف عام .
وخلفه حروب لا تحصى بعدد حبات الرمل
قالوا له : اقدم ، وتقدم
قالوا له : نحن معك ، ولم يجيئوا
ولم ينتظر .....
وقف على اعلى قمة في العالم
اشار الى الدم المنتشر فوق سطح الكرة
وقال ... جدودي .
كل حلم ازرق ، وكل زرقه قاتلة .
الاعداء يحيطون به من كل جانب
وكان يحمل عليهم يديه وقلبه واسنانه
فيفرون من بين يديه
كان اكثر منهم جميعا ، واسماؤه لا تعد
تارة يسمونه ابن الوليد .. وتارة..
وهو يراوح مكانه ولا اسم له .

* * *

قذفهم بالتراب والهواء المسنن
تزنر بالعرى ـ المدن ، ومتشق مفاتيح البيوت
وهزمهم وحده .
قصفوه بالعنقودية فضربهم بعناقيد يديه
قصفوه بالحديد فرماهم بالحجارة

* * *

قال الراوي شيئا غامضا ومات
مات كل الرواة قبل ان يعرفوا الحقيقة .
وقال اخر القادمين من هناك :
ان المعركة تدور من شتلة تبغ الى شتلة اخرى
ان الدخان متعقل وكذلك مجلس الامن
اخر بلاغات العدو تقول انهم تقدموا
الى اين ؟؟؟
الى مجلس الامن لانه فاجأهم بصموده
لانه اربك جحافلهم المتقدمة .
واضطرهم الى الخجل .

* * *

من منكم لا يراه الان
من منكم يتجرأ ان ينظر اليه
لا تنظروا... انه ينتظركم
انه يسبقكم جميعا. امراء ومأمورين
سادة ومسودين
ويشعل الحريق تحت اقدام الغزاة
يسددوا اليه فاصيبوا
طعنوه فماتوا
حذاري ان تقتربوا منه
انه يحترق .. لكنه سيحرق كل شيء
كل شيء ...
انه الزمان الجنوبي
حذاري من الاقتراب

□ حسن

رسالة الى الوطن

كتبت الشعر الحانا
على سطح القمر
وجعلت روايتي
نجوما ترتدي احلى الصور
ونظمت احزاني اهازيجا
لاوقات السهر
وحملت اشعاري بموطن غربتي
تعويذة قدسية
خلا وفيا ما غدر
ونفذت ما القى من الايام
اشجانا وآهات
بأشعاري
لتبقى للمدى ذكرى
بها افضي بأسراري
واستر كل اغواري
وافتح بابنا المغلق
بمفتاح من الضوء
واكسر قفل غربتنا
بمنشار من النور
لنسمو فوق عالمنا
ونجرع كل نكبتنا
بما تحوي من الصور الخريفية
لنجعلها ربيعية ..
ونقلب كل واقعنا
وكل رموز نكبتنا
من الامراض والقحط
ليعلو وجه زيتوني
على ارضي وفي ظلي ـ
ليبقى لونه اخضر ،
ويصبح موطني اكبر ..

□ ■

كتبت رسالة الوطن
مطرزة على القمر
بألوان محلاة
من الازهار والصور
نفحت بها من الاشواق
ما يقوى على السفر
لينقل بدرنا المحبوب
هذا الشوق للشجر
ويطبع قبلة تبقى
كتذكار من المنفى
لمن عشق الهوى شجرا
وزيتونا من الصفر
فيا حبا له في القلب
تمثالا الى الابد
فلن ننسى بلاد الحب والزيتون
والاشجار والرغد
فأنت بقية في النفس احملها
واحميها من النسيان
احفرها بقلب القلب اغنية سماوية
واعزفها بأوتار من الشوق
على طرقات ناقوس من الشرق
بصوت كله رهبة
بليل موحش الغربة
ويبقى لحنها خالد
خلود الارض ما بقيت
جبال فوق قمتها
نسور المجد والقوة
الى كوخ على الجبل
واشجار معلقة على السفح
الى طرقات بلدتنا
وكل بيوت قريتنا
ومن صمدوا بوجه الغزو والارياح
من رفضوا قيود الذل
من غرزوا بعمق الارض للدار
الى شوك يحلق عدونا ازهر
الى من حارب الردة
وواجه غزوة الغزوة
سلام كله حب
واشواق بلا حد
وماذا بعد يا وطني
فأنت كبحرنا المائج
كبير تكبر الدنيا
وتصغر عندك الكلمات
والاشجار والكتب

الرفيق : خيري

تساؤل

« ١ »

يدفعني ذاك هبوب العاصفة
لاغور في عينيك
اكثر * اكثر * اكثر
يصحبني الحب غجريا
ادخل في صمت
كل الوجوه المطلة عبر البوابات المقفلة
وازقة ذاك المجرى الزمني لهذا الحب
بدون متاع
« سلافه » ترفع وجنتها مع دقات الزمن المتثاقل
وتبعثر اوراق الضوء
تخاف الاطياف العصرية
تسأل اقوام الاهل
متى ادع الحب طليقا في وطني ؟
الحب هنا أسدف
الضوء هنا اطحل
ـ متى ينام الليل كهلا ؟
ـ متى تنال دماء مقاتلنا نصرا ؟
ـ متى تبقى الغدارة لغة الحب ؟

« وفقة هامشية ـ ستبقى كلمة متى دائما طازجة الخضرة نقولها دائما متى متى »

« ٢ »

ابكي في عرسك مشتاقا
ما عدت أميز بين الابيض والاسود
ما عدت الليلة اسلك
اية من خطوات الطرق الوعرية
ما زالت اذني
لا تفصل ما بين الصمت وبين الصخب
ـ ماذا يعني ان المزروعة في العين تدفعني لأسير
على ارصفة الجبناء السفلة ؟
ـ ماذا يعني ان يتألق هذا الجسد العاري
في صور الكوفيات العربية ؟
لن تخدعنا كل فوارقنا الطبقية

« أبو غسان »

ردود

□ الرفيق « حسام عبدالسلام » : وصلت قصيدتاك « ذبلت عيوني ... » و « ايهذا الحاكم العربي » ... والقصيدتان تعانيان من خلل فني مما يحول دون نشرهما .. ننتظر منك ما هو افضل .. مع تحياتنا .

□ الرفيق « خيري » : قصيدتك « حرب تشرين » غير صالحة للنشر لاسباب فنية ، اولها : النظم الكلاسيكي . اما بالنسبة لقصيدتيك « رسالة الى الوطن » و « يجيء الحب يوما » ، فالاولى كما ترى نشرت في مكان اخر من هذا العدد ، والثانية ستجد طريقها الى النشر في عدد قادم ، مع تحياتنا .

□ الرفيق « بلال سعيد » : نعتذر عن نشر قصيدتك « في كمب ديفيد » لخلل واضح في الشكل الفني والمضمون .. مع تحياتنا .